منهج الأصوات المركّبة
(الفونولوجي)
دراسة في قراءة الحسن البصريّ
الهمز ــ الإدغام ــ الإمالة ــ الوقف

الدكتور عبد الوهّاب شيباني
جامعة منتوري- قسنطينة / الجزائر

مقدّمــة

قسّم عالم الأصوات " كينيث باك " الأصوات إلى قسمين[1]:

فالقسم الأوّل:Phonetics و هو دراسة الصّوت مجرّدًا مفردًا، أي دراسة إنتاج الصّوت و انتقاله و استقباله دراسة فيزيائية.

أمّا القسم الثّاني: Phonology فهو دراسة التّغيّرات التّي تحدث في أصوات اللّغة نتيجة تطوّرها فهي تبيّن وظيفة الصّوت في الكلمة باعتباره فونيماً وظيفيًا[2].

و دراسة الأصوات المفردة بمعرفة مخارجها و صفاتها وجدت عند القدماء بطريقة تفصيلية دقيقة يحتاج إليها دارس اللغة وممارس للتجويد، فهي الأساس الذي يمكن بمعرفته إتقان نطق أصوات اللغة وإعطاؤها حقّها من الجودة والحسن.

و قد أصبحت دراسة هذا الجانب- لأهميتها و اعتبارها أساسَ إجادة اللغة - علمًا مستقلاً له قواعده و أصوله، و يسمّيه علماء العربية المحدثون أيضًا الدراسة الوصفية.

أمّا دراسة مواقع الحروف في الكلمات و الجمل و العبارات لبيان ما يحدث من ائتلاف أو اختلاف و ما قد يحدث من تغيّرات للانسجام الصّوتي و حسن التّركيب كالإبدال و الإدغام و الإمالة و الهمز والتّسهيل، إلى غير ذلك من قواعد و نظم حين التقاء الحروف والكلمات، فقد سمّاها المحدثون من العلماء العرب الدّراسة التّنظيمية.

و في أثناء البحث في القراءات القرآنية، و لاسيما الشاذّة منها، ما وجدنا منها ما ينطوي على ظواهر صوتية، هي أعرق تاريخيًا من القراءات الصحيحة. و إنّ هذه الظّواهر بحاجة إلى إعادة استقراء في

---

(1) تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث: عبد الغفار حامد هلال، مكتبة الآداب 2007: ص 11.

(2) دراسة السّمع و الكلام: سعد مصلوح، ص 175. و انظر دراسة الصّوت اللّغوي: أحمد مختار عمر: ص 69، و في اللّسانيات العربية المعاصرة: خالد اسماعيل حسّان مكتبة الآداب، القاهرة، 2008، ص 19.

العربية الفصحى، لإعادة تفسيرها وفق رؤية علمية جديدة. و ليس يغيب عن أحد ممّن يخوض في حقل علم صوتيات التّجويد و الأداء و القراءات القرآنية أهميّة قراءة الحسن البصري التي تزخر بظواهر فريدة يمكن تصنيفها في القسم الثّاني (Phonology) الذي يبيّن وظيفة الصّوت في الكلمة باعتباره فونيماً وظيفيًا. و كذا دراسة مواقع الحروف لما قد يحدث من تغيّرات للانسجام الصّوتي و حسن التّركيب كالإبدال و الإدغام و الإمالة و الهمز و التّسهيل. و لعلّ هذا المقال يوضح جانبًا من ذلك.

التّعريف بالحسن البصري:

هو الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري، ولد سنة إحدى و عشرين (21 هـ) للهجرة أي لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه بالبصرة.

و هو تابعيّ أصله مولى فارسيّ، فأبوه مولى لزيد بن ثابت، و أمّه مولاة لأمّ سلمة.

و قد صُنّف ضمن القرّاء الأربعة الزّائدين على العشرة أي (الأربعة عشر). وهو حافظ علاّمة مع أنّه اتّهم بكثرة التّدليس.

كما أنّه إمام زمانه علمًا و عملاً، و قد روى عنه أبو عمرو بن العلاء، إمام القرّاء و النحاة البصريين، و عاصم الجحدري. و في رواية تُعزى إلى الشافعي أنه قال: لو شاء أقول: إنّ القرآن نزل بلغة الحسن لقلتُ لفصاحته.

و قد توفي سنة عشر و مائة.

و راوياه هما شجاع بن أبي نصر البلخي، و الدّوري[3].

قراءة الحسن البصري

يرى جمهور العلماء أنّ القراءة المقبولة هي التي تتوافر فيها الشّروط الآتية:

(3) غاية النهاية1/235.

1 ـ موافقة القراءة للعربية ولو بوجه.

2 ـ موافقتها لرسم أحد المصاحف العثمانية.

3 ـ ثبوتها بالتواتر، أي بنقل جماعة من الموثقين ممن يؤمن تواطؤهم على الكذب، أو توافقهم على الخطأ. وقد ذهب بغض العلماء إلى أن الشرط الثالث أهم هذه الشروط جميعا، لأنه يعني أن القراءة المتواترة لا بد أن تكون موافقة للعربية، وموافقة لرسم أحد المصاحف العثمانية. فالتواتر أساس هذه الشروط، لأنه يتضمنها ويحتويها.

و التّواتر ـ فيما يرى العلماء ـ ليس متحقّقا إلا في القراءات العشر. وقد عدت القراءات التي بعد العشر غير متواترة، ولذلك ردوها، فمنعوا القراءة بها في الصلاة وخارجها، ولكنهم أجازوا تعلمها وتعليمها، وتدوينها في الكتب، و بيان وجهها من حيث اللغة و الإعراب و المعنى.

و قراءة الحسن من القراءات الأربع التي بعد العشر، وهي لذلك من القراءات غير المتواترة. و قد وردت فيها (قراءة الحسن) أبنية نادرة في اللّغة من نحو: [نِعجة و تِسعة و عِسِيتم و جأن و أدرأتم]، لكن هذه الأبنية و سواها وجدت تخريجها في كتب اللّغويين و عزوها إلى لهجات العرب الفصيحة و إن لم تكن الفصحى.

و الذي يظهر أنّ إدراج قراءة الحسن في الشّواذّ عند ابن مجاهد أو عند غيره من المصنّفين ممّن تابعوه في اختياره يعود إلى قلّة الشّيوخ الذين أخذ عنهم الحسن، فقد اقتصرت المصادر على ذكر اثنين فقط أخذ عنهما هما حطّان و أبو العالية الرياحي على حين بلغ عدد الذين أخذ عنهم بعض السّبعة أو غيرهم ما يزيد على السّبعين من التّابعين على نحو ما نقرأ في ترجمة نافع بن أبي نعيم أو جعفر المدني، فيكون شرط التّواتر الذي اشترطه العلماء لصحّة القراءة غير قائم في قراءة الحسن الذي كان يركن في قراءته إلى سليقة لغوية تعتمد والفصاحة العالية التي نعهدها في المتقدّمين من السّلف مثل أنس بن مالك و ابن مسعود و أبيّ و نحوهم[4].

(4) الظّواهر اللّغوية في قراءة الحسن البصري: ص 29. راجع معجم الخطيب فيه

الدّراسة الصّوتية:

في قراءة الحسن البصري ظواهر صوتية كثيرة، تمثل لهجة تميم[5] التي ينتمي إليها تلميذه أبو عمرو. و لكنّ في هذه القراءة آثارًا لهجية أخرى، لأنها كسائر القراءات مبنية على الاختيار.

و قد اخترت الظّواهر الصّوتية الآتية لدراستها: الهمز، والإدغام، و الإمالة، و الوقف و الإتباع و المغايرة الصّوتية و هذا بيان ذلك:

أولا: الهمز:

تباينت القبائل العربية في التعامل مع الهمزة، فمعظم بني تميم يحققونها، و معظم أهل الحجاز يسهلونها، و بعض قبائل اليمن يبدلونها هاء أو واوا، مثل طيء[6].

و اللهجات العربية القديمة تقف من الهمزة ثلاثة مواقف فقط، تحقيقها، وحذفها مع الحفاظ على حركتها، و إبدالها.

1 – تسهيل الهمزة في قراءة الحسن البصري:

ظاهرة تسهيل الهمزة في جملة مواضع من القرآن مظهر من مظاهر تأثر الحسن البصري بلهجة المدينة التي نشأ بها و إقليم الحجاز عامة، و قد رافقه هذا المظهر اللغوي حتى بعد نزوحه و استقراره في البصرة و سواد العراق. و معلوم أنَّ تسهيل الهمزة مظهر من مظاهر اللهجة الحجازية، على حين أن تحقيقها خاصة من خصائص لهجات نجد و عموم القبائل البدوية، كما أنه مظهر من مظاهر العربية النموذجية

كلام عن خطإ الحسن في " ادراتم" ذكرت في إعراب ثلاثين سورة: 3/ 513.

(5) ينظر خصائص هذه اللهجة في كتاب" في اللهجات العربية لإبراهيم أنيس"، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 4، 1973.

(6) في اللّسانيات العربية المعاصرة: ص 131.

التي كانت لغة للشعر و الخطابة، و بها نزل القرآن و قرئت آياته[7].

و يظهر تأثّر الحسن بلهجة الحجاز في تسهيله الهمزة في أحرف من القرآن جاوزت خمسة و عشرين موضعاً. أجتزئ بذكر بعض منها:

(فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ) [البقرة: 102]. قرأها: بحذف الهمزة و تشديد الرّاء (بين المَرّ).

و كذلك (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)[الأنفال:24]. و بها قرأ الزهري أيضا[8].

و (من سوآتهما) في سورة [الأنعام: 20]: قرأها (سوَّاتهما): بتشديد الواو[9].

و قرأ: (وَ قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) [البقرة: 58]. بقلب الهمزة ياء و إدغامها في الياء الأولى (خطيّاتكم) جمع خطيّة و قراءة السبعة: خطاياكم، تكسير خطيئة أو خطيّة. و كذلك: (إلى باريكم)[10].

و قرأ: (لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ)[الحاقة:37]. بتليين الهمزة وجعلها ياء (الخاطيون). و بها قرأ الزهري و الحسن و موسى بن طلحة و قراءة الجماعة بتحقيق الهمز. قال ابن جنيّ[11]:« يحتمل هذا قولين: أحدهما أن يكون تخفيفا للهمز لانكسار ما قبلها. و الآخر: أن يكون قد بقي من الهمز جزء ما على مذهب سيبويه، إلا أنه يلطف على القراءة، فيقولون بإخلاص الياء، ومعذورون فيه لغموضه.

---

(7) الظّواهر اللّغوية في قراءة الحسن البصري: ص 125.

(8) المحرّر الوجيز لابن عطية الغرناطي: 2 / 510.

(9) نفسه: 385/2

(10) الكرماني: الورقة 25.

(11) المحتسب: 2 / 388.

و قرأ: (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا) [النساء:4]. بقلب الهمزة ياء و إدغامها في ياء فعيل، (هنيّا مريّا [12])، و قراءة الجمهور (هنيئا مريئا)، بإثبات الهمزة.

و نسب إليه ابن عطيّة قراءة أخرى حيث قال: « و قرأ الحسن: (و يَنْوْنَ عَنْهُ) في قوله تعالى: (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ) [الأنعام: 26]. أُلقيت حركة الهمزة على النّون على التّسهيل القياسي[13]»

و هناك حالة أخرى وهي التقاء همزتين مفتوحتين، إحداهما همزة الاستفهام و الأخرى همزة الفعل، و ذلك في قوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)[البقرة: 6]. فقرأ الحسن و ابن أبي اسحاق، و الأعمش، بتحقيق الهمزتين " أأنذرتهم " وهي لغة تميم[14]. و هكذا تكون هذه الحالة مخالفة لما سبق ذكره.

غير أنّ من الحجازيين من كان يكره هذا الالتقاء بين الحركات، فيقحم بين الحركتين الملتقيتين – إذا كانت بإحداهما ضمة أو كسرة – صوتًا يسميه علماء اللغة المحدثون بالصّوت الإنزلاقي أو الانحداري "gleitlaut" و هو أحد صوتيّ العلة: الياء و الواو، و يسمّى النحويون هذا النوع من النطق بقلب الهمزة أو إبدالها[15].

و هذا الذي ذهب إليه علماء النحو القدماء و رمضان عبد التواب، فيه نظر و هو أنّ ما حدث في " أأنذرتهم " في لهجة أهل الحجاز، هو حذف الهمزة الثانية التي هي همزة الفعل "أنذر"، مع الإبقاء على حركتها القصيرة، و هي الفتحة (short vowel)، فالتقت حركتان قصيرتان مفتوحتان، ثم حدث إشباع صوتي بأن امتزجت هاتان الحركتان

(12) البحر: 3 / 513.

(13) المحرّر الوجيز: 3 / 167. و انظر إعراب القرآن للنحّاس: 2 / 61 و البحر المحيط: 4 / 100 و القراءات الشّاذّة – دراسة صوتية و دلالية: حمدي سلطان حسن أحمد العدوي، دار الصّحابة للتّراث، طنطا، 2006: 1 / 256.

(14) معجم القراءات للخطيب: 1 / 35 و انظر البحر: 1 / 79.

(15) مشكلة الهمزة: ص34.

القصيرتان، فتحولتا إلى حركة طويلة بالفتحة (long vowel) فتنطق هكذا: "أنذرتهم"، و ليس " أأنذرتهم "[16]. و من الكتابة الصّوتية الآتية يتبيّن أنّ الهمزة متحقّقة غير ساقطة كما زعم عبد الصّبور شاهين الذي ذهب إلى أنّ " بين بين " يعني في الواقع سقوط الهمزة أساسًا و اتّصال الحركتين قبلها و بعدها مباشرة[17] متابعًا بذلك أستاذه إبراهيم أنيس. فـ " بين بين " غير مصوّت، و الهمزة غير مصوّت، لأنّ المصوّت لا يكون قاعدة لمقطع، و إنّما المصّتات قمم: / ء – َ اء - ن/ = أان[18].

2 - تحقيق الهمزة في غير المهموز في قراءة الحسن البصري:

و مما يتصل بظاهرة تسهيل الهمزة أو حذفها دون عوض في قراءة الحسن نقيضها، و هو همز غير المهموز أو تحقيق ما سهلت هزته. و قد وردت عنه في ذلك كلمة [جأن][19]، في (وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ) [الحجر: 27]، و (وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) في [النّمل: 10] و (و أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآَمِنِينَ) في [القصص: 31]. و (وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ) في [الرحمٰن: 15].

و إنّ همز الألف في مثل [الضألين] في (و لا الضَّالِينَ) [الفاتحة: 7] و غيرهما عند بعض القرّاء، هو عبارة عن تقصير للحركة الطويلة، و المبالغة فى التفصّح، لإبراز دلالة معينة في ذهن المتكلّم[20].

(16) القراءات القرآنية في ضوء علم اللّغة الحديث: ص 105.

(17) الظواهر الصّوتية و الصّرفية و النّحوية في قراءة الجحدري البصري: عادل هادي حمادي العبيدي، مكتبة الثقافة الدّينية، ط 1، 2005: ص36.

(18) مشكلة الهمزة: ص34.

(19) المحتسب: 2 / 355.

(20) في اللّسانيات العربية المعاصرة: ص 131.

و يدخل تفسير هذه الظاهرة فيما يسمى بالتخلص من التقاء الساكنين عند القدماء أو الاستعاضة عن المقطع الطويل المقفل ذي المصوت الطويل بقطعين قصيرين. و قد ورد نظيره عن العرب في همز كلمة شأبة و دأبة (وَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ) [النّحل: 49] و نحوهما.

و ورد عنه أيضا: لينبذأنّ، بالهمز و تشديد النّون المكسورة[21]. و كذلك " و لترؤنّ " في (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ)[التكاثر: 6][22]).

و قرأ أيضا: (لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا) [الكهف:38]. (لكن أنا) بفصل لكن عن الضّمير أنا.

ثانيًا: الإدغام:

اشتهر بنو تميم بالإدغام و الإمالة و الإتباع، على حين اشتهر الحجازيون بالإظهار و الفتح. و الإدغام من الوسائل التي تلجأ إليها العربية، إما اقتصادا في الجهد، و إما لإحداث نسق صوتي مثل:(يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ) [النساء: 42]. فأصل الفعل قبل الإدغام: (تتسوى)، ثم حذفت فتحة التاء الثانية، فأصبحت (تتسوى)، ثم أدغمت التاء الثانية في السين، فأصبح الفعل على هيئته هذه. و إما لتغيير البنى المقطعية للكلمة فإمّا أن يكون في كلمة واحدة، كما في (رد) التي أصلها (ردد)، فحذفت الفتحة التي بين الدالين، ثم أدغمتا، فبدلا من أن تكون الكلمة مكونة من ثلاثة مقاطع هي: ر/ د/ د، فأصبحت مقطعين: رد/ د. و إما العمل على الوصل.

أما الاقتصاد في الجهد العضلي، فذلك محور رئيس من محاور الإدغام، وهو الذي درسه النحاة، و خصّوه بالذكر في كتبهم.

و هذه بعض صور الإدغام التي وردت بها قراءة الحسن، و بيان ذلك في الآتي:

---

(21) الكرماني: الورقة 210 و البحر: 540/10.

(22) ابن خالويه: 179. و المحتسب: 2 / 440 و هي قراءة أبي عمرو أيضا.

أدغم الحسن الكاف في الكاف، بغض النظر عن أن المدغمة ضمير، و ذلك كما في: (وَ مَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ) [لقمان: 23]، فقد قرأها الحسن: " فلا يحزنك كفره ".

و لا شكّ في أنّ قراءة الحسن قد خالفت القراءات العشر في بعض وجوه الإدغام، غير أنّ هذه المسألة ممّا اتفق فيه الإدغام هنا مع الإدغام في قراءة أبي عمرو بن العلاء.

و ممّا خالف فيه القراءات العشر إدغامه تاء المتكلم أو الخطاب في مثلها[23]، و ذلك كما في: (وَ يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا) [النبأ: 40]، و (...عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [الزمر: 46].

و لا يخفى أنّ يكون الإدغام بشروط منها: أن يتفق الحرفان في المخرج و الصفات معًا و هو التماثل الكلّي في نحو الباءين في قوله تعالى: (اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ) [البقرة: 60]. و في نحو الدّالين في شدّ و مدّ و الرّاءين في مرّ و اسبكر و غيرها[24].

و أدغم الحسن النون في (قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ...) [البقرة: 139]، و (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) [الطور: 48]. وقرأ أيضا: (لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ) [البقرة: 233] بدلا من: (لا تضار). و هذه لغة أهل الحجاز[25]. كما أدغم في (وَطَفِقَا

---

(23) أبو عمرو يدغم في بعض (ذات الشّوكة تكون)، و لا يدغم في بعض (كنتُ ترابًا)إدغام القرّاء للسّيرافي، تحقيق عبد الكريم الرّويني، دار الشهاب، باتنة، الجزائر: ص 11. و الإدغام الكبير: أبو عمرو بن العلاء، تحقيق أنس مهرة، دار الكتب العلمية: ص 12. و انظر " ما ذكره الكوفيون من الإدغام ": السيرافي، تحقيق صبيح التّميمي، ص 29.

(24) الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللّغوي الحديث: عبد الله بو خلخال: ص 13 – 22.

(25) جامع القرطبي: 3 / 111 و انظر: و القراءات الشّاذّة – دراسة صوتية و دلالية: حمدي سلطان حسن أحمد العدوي، دار الصّحابة للتّراث، طنطا، 2006: 1 / 305. و

يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ) [الأعراف: 22]. حيث قرأها: يَخَصَّفَانِ[26].

ثالثًا:الإمالة:

يقول ابن الباذش: « معنى الإمالة أن تنتحي بالفتحة نحو الكسرة انتحاءً خفيفًا، كأنّه واسطة بين الفتحة و الكسرة، فتميل الألف من أجل ذلك نحو الياء، و لا تستعلي كما كانت تستعلي قبل إمالتك الفتحة قبلها نحو الكسرة، و الغرض بها أن يتشابه الصّوت مكانها و لا يتباين. و جعلنا باب الإمالة إلى جنب باب الإدغام للمشابهة بينهما، لأنّ الإدغام تقريب حرف من حرف، و الإمالة كذلك[27]».

و يقول صاحب " المبهج[28] في معرض التّدليل على أصالة الفتح: « إنّ التّفخيم هو اللّغة القديمة السّابقة، و إنّ الإمالة هي اللّغة الطّارئة اللاّحقة»..

و يرى مكّي بن أبي طالب القيسي أنّ الفتح أعمّ في كلام العرب و أكثر من الإمالة، فكلّ ممال يجوز فتحه، و ليس كلّ مفتوح تجوز إمالته[29]. أي أنّ الأصل ما عمّ و هو الفتح.

و يقول ابن الجزري: « الفتح لغة الحجاز. و الإمالة لغة عامّة أهل نجد من تميم و أسد و قيس. قاله الدّاني[30]». و يضيف ابن الجزري نقلاً

سمير شريف إستيتية القراءات القرآنية، بين العربية و الأصوات اللّغوية، منهج لساني معاصر:ص302-324

(26) المحرّر الوجيز لابن عطية الغرناطي:189/1.

(27) الاقناع ص 115.

(28) المبهج في القراءات السّبع المتمّممة بابن محيصن و الأعمش و يعقوب و خلف: سبط الخياط: 1 / 224.

(29) الكشف:1 / 168.

(30) النشر:2 / 30-32. و الإمالة في القراءات و اللّهجات: عبد الفتاح إسماعيل

عن الدّاني ليعدّ الإمالة من الأحرف السّبعة و ينسبها إلى لحون العرب و أصواتها:« ثمّ أسند حديث حذيفة ابن اليمان أنّه سمع رسول الله صلّى الله عليه و سلّم يقول: « إقرؤوا القرآن بلحون العرب و أصواتها و إيّاكم و لحون أهل الفسق وأهل الكتابين[31]». و يضيف الدّاني: « فالإمالة لا شكّ من الأحرف السّبعة و من لحون العرب و أصواتها[32]».

و في الفتح و الإمالة لأبي عمرو الدّاني إشارة إلى أصلية التفخيم: « الإمالة تجعل الحرف بين حرفين، و ليس الأصل أن يكون الحرف بين حرفين، و إنّماالأصل أن يُخرج كلّ حرف من موضعه خالصًا غير مختلط بغيره[33]».

ثمّ يورد الدّاني حديثًا شريفًا فيما ذهب إليه آنفًا، يقول: « عن خارجة بن زيد، عن زيد بن ثابت أنّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم قال: " أنزل القرآن بالتّفخيم "[34]». و الحديث يحتمل أوجهًا مختلفة، منها: أن يكون معنى التّفخيم الغلظة والشدّة على المشركين. و قد يكون معناه تعظيم و تبجيل القرآن... و هكذا، ما دامت الإمالة ممّا ينصّ – عليه ضمنيًا - حديث الأحرف السّبعة.

ومن هذه التّعريفات يتبيّن جليًا عزوف الحسن البصري عن الإمالة بكلّ أشكالها و أنواعها، فهو يميل إلى الأصل و هو ما عمّ و هو الفتح.

أضف إلى ذلك أنّ الحسن ليس من أهل نجد و لا من تميم و لا أسد و لا قيس. و هذا بخلاف تلميذه أبي عمرو البصري الذي تمسّك

شلبي: ص 86.

(31) النشر:2 / 30-32. في الفتح و الإمالة لأبي عمرو الدّاني: ص 12" بألحان العرب "، و في البيهقي " شعب الإيمان " عن حذيفة ").و في الأحرف السّبعة لأبي عمرو الدّاني: ص 43 : قال أبو عمرو:" بلحون العرب و أصواتها مذاهبها و طباعها ". و اظر: الإمالة في القراءات و اللّهجات: عبد الفتاح إسماعيل شلبي: ص 86.

(32) نفسه: 30-31.

(33) الفتح و الإمالة لأبي عمرو الدّاني: ص 12.

(34) نفسه: ص 15 - 20. و في المستدرك للحاكم: عن زيد بن ثابت.

راوياه – و على وجه خاصّ الدّوري – بالإمالة بنوعيها. و كذلك حمزة التميمي الكوفي هو أشهر من رويت عنه الإمالة من بين القرّاء العراقيين و يعود ذلك إلى أنه عاش في الكوفة متأثرًا بتلك القبائل التي سادت الإمالة في لهجاتها، و قد كانت تقطن العراق، أو تعوّدت النّزوح إليه لقرب مساكنها منه، و في ذلك يقول إبراهيم أنيس: « و يظهر أنّ حمزة هو الذي رسم طريق القراءة الكوفية بين القرّاء العشرة، مستمدًّا نماذجه من البيئة التي عاش فيها[35]».

و تناول المحدثون الإمالة في بحوثهم و درسوها و وضعوا لها رموزًا و مقاييس و ما هذه الكتابة الدولية إلا الحرف اللاتيني.. أما الحرف العربي على الخصوص و السّامي على العموم، و غير السّامي، فلا أثر له في نظامه المعياري العالمي، و أمّا الأوصاف فإنّها أوروبية محضة، و ليس لها من الصّفة العالمية إلا الاسم[36].

و معقول ما ذهب إليه بعض اللّغويين المعاصرين[37] من أنّه ليس هناك تسويغ مقبول للتحوّل عن صورة الحرف العربي في الدّراسات الصّوتية، و إن كان ذلك بدعوى العالمية أو الدولية، فالعالمية في الرّموز الصّوتية ليست أمرًا تيسيريًا، بل هي إلى التعسير أقرب لما تؤدي إليه من إثقال الصّفحات و الإشارات و الإرباك و الغموض كما نصّ على ذلك دي سوسور، بل إنّ دعوى عالمية الرّموز الصّوتية لا تعدو أن تكون حملاً يُعيي الأرض على أن تصطنع لنفسها الحرف

(35) في اللهجات العربية: ص 61.

(36) الإمالة في القراءات و اللّهجات: ص 67.

(37) الظواهر الصّوتية في قراءة حمزة بن حبيب الزيّات: رسول صالح عليّ أحمد الحلبوسي: ص 90.

الرّوماني.

و يجب أن يكون في اصطناع الرّمز ما يتّفق و خصوصية لغتنا، بل إنّ في ذلك ما يخفّف عن هذه الرّموز بعض الثّقل ممّا كان دي سوسور قد شكا منه.

و جدير بالنظر ما اقترح كرموز للإمالة حيث جعلت (را) لصوت إمالة الألف في نحو : (بسم الله مجراها و مرساها)[هود:41]،

و (وا) لصوت تفخيم الألف في نحو: (أقم الصلاة) [الإسراء: 78] ، و ا ـَ ا للفتحة ، و ا ـً ا للألف أو الفتحة الطويلة، و ا ـِ ا للكسرة، و ا ـٍ ا للياء المدية، أو الكسرة الطويلة في نحو: نسير، و ا ـُ ا للضمة، و ا ـٌ ا للواو المدية، أو الضمّة الطويلة في نحو: نقول[38].

رابعًا: الوقف:

لم أعثر فيما بين يديّ من مصادر و مراجع ممّا يتعلق بقراءة الحسن البصري على نماذج كثيرة للوقف، لذلك أكتفي بمثالين:

المثال الأوّل:

وقف الحسن البصري على (وَ يَقُولُونَ سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا وَ اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَ رَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَ طَعْنًا فِي الدِّينِ) في [البقرة:46]. " راعنَا " بالتّنوين[39].

المثال الثّاني:

تفرّدت قراءة الحسن بتحريك الحرف الأخير من أسماء بعض

---

(38) نفسه: 91 – 92.

(39) المحرّر الوجيز: 386/2.

الحروف المتقطعة التي تبتدئ بها سور من كتاب الله عزّتْ أسماؤه، فكان الحسن يقرأ: [ياسين]، و [صاد]، و [قاف] و مع ذلك، فقد قرأ: [طَهْ] بتسكين الهاء. قالوا في توجيه هذه القراءة: طأ أراد: طأ الأرض بقدميك جميعاً، لأنّ النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم كان يرفع إحدى رجليه في صلاته(40).

خامسًا: محاور صوتية مختلفة:

1- الإتباع الصّوتي:

الإتباع الصّوتي تغيير صوتي يطرأ على كلمة لإحداث تناسب بينها وبين كلمة أخرى، وهو تغيير يطرأ على صوامت الكلمة طروءه على صوائتها. و الإتباع الصّوتي بهذا المعنى يتخذ أشكالا و صورًا متعددة في العربية، منها أنهم كانوا يستعملون كلمتين معًا، و يغلب أن يكون الفرق بين الكلمتين في صوت واحد لتأكيد معنى الكلمة الأولى. وتسمّى هذه الظاهرة في علم النظم الصّوتية بالثنائية الصّغرى pairs minimal،

و ذلك مثل قولهم: إنه لكثير، بثير، بذير، بجير.

و الإتباع ضرب من الانسجام الصّوتي بين الصّوائت للتقريب بينها، و يعزى إلى هذيل، و أزد شنوءة، و بعض قيس، و ربيعه. والتقريب الصّوتي بين الصّوامت ضرب من ضروب الإتباع، نحو"باسقات" تتحول إلى "باصقات" و يعزى إلى بني العنبر، و كلب، وطيء، وهي قبائل قحطانية نزحت إل شمالي الجزيرة العربية(41).

و الإتباع قسمان: صامت بصامت. و حركة بحركة.

فأمّا مثال الأوّل، و هو إتباع صامت بصامت هو نصّ الحديث

(40) سمير شريف إستيتية القراءات القرآنية، بين العربية و الأصوات اللّغوية، منهج لساني معاصر: ص324.

(41) في اللّسانيات العربية المعاصرة: ص 132.

الشريف: « لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه». فالأصل أن يكون الحديث الشريف على إيقاع: « لو دخلوا جحرَ ضب خربا » بإتباع كلمة " خربا " لكلمة " جحرَ " إتباعا إعرابيا.

و أمّا مثال الثّاني، و هو إتباع و حركة لحركة كثير الورود ذو سيرورة ملحوظة في قراءة الحسن البصري. و في ما يأتي بعض معالم هذه الظاهرة في هذه القراءة:

أ- إتباع حركة الإعراب لحركة البناء:

قرأ الحسن: (الحمدِ لله) بكسر الدّال و اللاّم[42]، و في ذلك تأثر رجعي: الصّائت القصير - الضمّة في الحمد - له وظيفة إعرابية و مع ذلك تأثر بالصّائت القصير الآخر في (كسرة لله) طلبًا لهذا الانسجام بين الأصوات.

ثمّ إنّ التّأثر بالإتباع ينسب إلى قبيلة أزد شنوءة. و التّأثر بالمخالفة ينسب إلى قبيلة عبد القيس. و هذه الظواهر كانت من خصائص اللهجات المنتشرة في البادية[43].

و ذهب فريق آخر إلى نسبة هذه القراءة إلى بني تميم، و إلى بعض بني غطفان[44].

و قد زعم ابن جنيّ، أنّ ضمّ اللام في (الحمدُ لله) أسهل من كسر الدال في (الحمدِ لله). إلاّ أنّ سمير شريف إستيتية خطّأه من الناحية الصّوتية، يقول: « و ذلك أن الدال و كسرتها، و اللام و كسرتها،

(42) المحتسب:1 / 111. و انظر موقف اللّغويين من القراءات الشّاذّة: محمّد السيّد أحمد عزوز، عالم الكتب، ط 1، 2001: ص 54. و القراءات الشّاذّة و توجيهها النّحوي: أحمد محمّد الصّغير، دار الفكر، دمشق، 1999: 70 و 120.

(43) اللهجات العربية في القراءات القرآنية: عبده الرّاجحي، دار المعرفة الجامعية، د ت: ص 162.

(44) سمير شريف إستيتية القراءات القرآنية، بين العربية و الأصوات اللّغوية، منهج لساني معاصر: ص 304 و ما بعدها.

كلها أصوات أمامية، أي أن موضع نطقها، و مكان تشكلها، في الجزء الأمامي من الحجرة الفموية. و تسمى الأصوات الأمامية أصواتا منتشرة compact، لأن حجرة رنينها في الجزء الخلفي من الحجرة الفموية. وأما الضمة فهي صوت خلفي، لأن اللسان يرتد إلى الخلف عند نطقها، وتكون حجرة رنينها في الجزء الأمامي من الحجرة الفموية. و يسمى الصّوت الذي هذا شأنه صوتا متضامنا diffuse. فإذا علم هذا كله، تبين لنا أن التناسق الصّوتي سيتم بدرجة أعلى، و يكون أسهل عندما نكسر الدال إتباعا لكسرة اللام. أما عندما تكون دال الحمد مضمومة، فسيكون نسق الأصوات على النحو الآتي: الدال(أمامي) + الضمة (خلفية) + اللام (أمامية) + الضمة(خلفية).

إذن إن قراءة الحسن البصري أسهل من القراءة الثالثة، لا كما ادعى ابن جني. و مع ذلك، فإن سهولة قراءة ما، لا يعني أفضليتها، وعدم سهولة قراءة أخرى، لا يعني عدم أفضليتها [45].

ب ـ صلة ميم الجمع إتباعا:

إذا كانت ميم الجمع مسبوقة بكسر، فإنه يصلها بياء، و لذلك فقد قرأ: (صراط الذين أنعمت عليهمي غير المغضوب عليهمي)، وقرأ: (على قلوبهمي وعلى سمعهمي، وعلى أبصارهمي). و كذلك:(قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[البقرة:93] فقرأ: (يامركم بهو إيمانكم)[46]. و يسمّى هذا أيضا إشباعًا.

2- الإسكان:

كان أبو عمرو أكثرهم تسكينا و هو من البصرة، و لعلّ هذا من أثر أن يكون ذلك كذلك من ميزات أستاذه الحسن البصري. فقد أسكن:

- الشّين من " بشرًا" في قوله تعالى:(وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ

(45) المرجع نفسه.

(46) المحرّر الوجيز:181/1.

يَدَيْ رَحْمَتِهِ) = نُشْرًا [النّمل: 63] [47].

- (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ) [الأعراف: 133][48].- دُبُره: دُبْرَهُ:[سورة الأنفال:16] [49].

- و كذلك: " خُمْسَهُ " و " بالعَدْوَةِ " و " برُسْلي" و " سُبْلَ السلام " و" من النَّعْم " و " قُبْلاً" و " فنظْرة إلى ميسرة " بسكون الظّاء[50].

3- تحريك الصّامت الحلقي:

وعلى خلاف ما مرّ فقد حرّك الحسن البصري السّاكن في مواضع عديدة، منها:

(وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [الرّوم: 56] بفتح العين (الْبَعْثِ) فيهما [51].

والتّفسير العلمي لهذه الظّاهرة أنّ تحريك الصّوت الحلقي أخفّ من تسكينه، إذ إنّ كلّ أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقي تحتاج إلى اتّساع في مجراها بالفمّ، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم، و لهذا ناسبها من أصوات اللّين أكثرها اتّساعا، و تلك هي الفتحة [52].

والحقُّ إنّ العربية حافظت على أصوات الحلق التي هي ظاهرة سامية قديمة، قال تعالى: (وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا)[النّساء: 2].

---

(47) السّابق: 2 / 412.

(48) نفسه: 2 / 444.

(49) نفسه: 2 / 510.

(50) ابن خالويه: 17.

(51) المحتسب: 2 / 209.

(52) القراءات القرآنية و أثرها في الدّراسات النّحوية: عبد العال سالم مكرم: ص123 و انظر كذلك: في اللّهجات العربية لإبراهم أنيس: ص 135.

و لقد قرأ الجمهور "حُوبا"، بضمّ الحاء، بينما قرأها الحسن وابن السيرين: "حَوبا "، بفتح الحاء[53]. و عزا الأخفش الأوسط هذه القراءة إلى بعض بني تميم، والأمثلة على نسبة الكسر إلى بني تميم كثيرة، وكذلك نسبة الفتح إلى أهل الحجاز[54].

4 - قضايا أخرى تتعلّق بـ: (الفتح و الضمّ و الإسكان):

ويفسر إبراهيم أنيس[55] ميل البدو إلى تسكين الصامت الثاني من الكلمة بأن ذلك يرجع إلى طبيعة البدوي فهو يقنع بالقليل، و يخلد إلى السكينة و الهدوء، فحياته مليئة بالتراخي، وبما يشبه الكسل حتى في نطقه، فهو يقتصد في الجهد العضلي و فى التنفس. و بالتالي فإن اختيار السكون يكون من أجل الخفة و السهولة و السرعة في النطق، كما أنّ الحركات أكثر الأصوات قابلية للتطوّر و التّغير زمانًا و مكانًا فتتحوّل الضمّة مثلاً إلى كسرة، أو فتحة، أو سكون.

وعلى الجانب الآخر يحتفظ أهل الحجاز، و هم أهل حضر، بالحركات القصيرة فوق الصامت الثاني، فهم يميلون إلى التأني في النطق، و حسن الأداء[56].

و هذا مثال يبيّن ما ذهب إليه اللسانيون العرب قديما و حديثا، قال الله عزّ و جلّ: (وَ إِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَ لِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ) [النساء: 11]. فقد قرأ الجمهور "السدس" بضم السين والدال، وهى لغة أهل الحجاز،على حين قرأ الحسن و نعيم بن ميسرة و الأعرج وأبو رجاء العطاردي " السدس" بضم السين وسكون

(53) البحر: 3 / 161، و معجم القراءات: 2 / 8 و التطوّر النّحوي لبرجشتراسر: ص 63.

(54) معاني القرآن: 1 / 188.

(55) في اللهجات العربية: ص 132، و علم الأصوات لكمال بشر، ص 419.

(56) في اللّسانيات العربية المعاصرة: ص 92 – 124.

الدال، و هي لغة تميم، و ربيعة[57].

و مما سبق يُلحظ أنّ تسكين الصامت الثاني هنا قد يكون بسبب ثقل صوت الضمة فوقه، حيث أن العلماء القدماء يرون أنّ الضمّة أثقل الحركات في النطق لأنّ في مخرجها مؤنة على اللّسان و الشّفتين، فيتمّ التخلّص منها بحذفها.

و أمّا تسكين الصامت الثاني المكسور- و قد عزي الكسر إلى الحجازيين، على حين عزي التسكين إلى بني تميم - فإنّ الكسرة فيها أيضا ثقل في النطق على اللسان و الشفتين، و يرى العلماء القدماء أنّ الكسرة أثقل في النطق من الفتحة و أخف من الضمّة، و أمّا التسكين فهو أخفّ من الحركات كلّها، قال تعالى: (وَ إِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة: 280]. فقرأ الجمهور فنظرة بكسر الظاء و هي لغة الحجازيين. و من أصحاب القراءات الشاذة أبو رجاء العطاردي و الحسن و الضحاك و قتادة والوليد بن مسلم، حيث قرؤوا: " فنظْرة " بسكون الظاء و هي لغة تميم[58].

و أمّا تسكين الصامت الثاني المتحرك بالفتح فهو يعزى إلى تميم، على حين يعزى تحريكه بالفتح إلى أهل الحجاز[59]. و معروف أن الفتحة أخفّ الحركات في النطق، فهي تخرج من خرق الفم بلا كلفة، ويتفق علماء الأصوات، العرب المعاصرون مع علماء العرب القدماء على أن الفتحة أخف الحركات و لكن الشواهد القرآنية ورد فيها تسكين الصامت الثاني المتحرك بالفتح، و الأمثلة على ذلك كثيرة، قال تعالى: (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ...) [الأنعام: 143].

---

(57) معجم القراءات: 2 / 28، و " في اللّسانيات العربية المعاصرة ": ص 92 – 124.

(58) المحتسب: 1 / 143، البحر المحيط: 2 / 340، و " في اللّسانيات العربية المعاصرة ": ص 92 و ما بعدها.

(59) المحتسب: 1 / 234.

قراءة الجماعة "الضَأن" بسكون الهمزة، و قرأ طلحة بن مصرف والحسن و عيسى بن عمر واليماني "الضّأن" بفتح الهمزة[60]، و يعزى فتح ما ثانيه صوت حنجري أو حلقي إلى بني عقيل، و هم يقطنون شرقيّ الجزيرة العربية، بجوار تميم و إياد و تغلب و بكر بن وائل. و قد رأى اللغويون القدماء (سيبويه) أنّ الهمزة من أقصى الحلق[61]، على حين ذكر المحدثون أنها من الحنجرة[62]، و أصوات الحلق تميل في نطقها إلى الفتح، يقول ابن جنيّ:

« و أما الضأن بفتح الهمزة في هذه القراءة، فمذهب أصحابنا فيه و في مثله، ممّا جاء على فعل و فعل، و ثانيه حرف حلق ... أن التحريك في الثاني من هذا النحو إنما هو لأجل حرف الحلق ... أسمع ذلك فاشيا في لغة عقيل[63]».

و لإبراهيم أنيس[64] رأي في تسكين عين الثلاثي فعلاً أو اسمًا،

---

(60) السّابق.

(61) الكتاب: 1 234.

(62) اللسانيون العرب المعاصرون يرون أنّ مخرج الهمزة من الحنجرة، من منطقة الوترين الصّوتيين، فعند النطق بها ينطبق الوتران الصّوتيان انطباقا تاما، لا يسمح بمرور الهواء، ثم ينفتح الوتران الصّوتيان فجأة، و على هذا الوصف يتّفق اللسانيون العرب المعاصرون، لكنهم يختلفون فيما بينهم في صفة صوت الهمزة، فيذهب إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية : ص 105 و ما بعدها) إلى أن الهمزة " صوت شديد لا هو بالمجهور و لا بالمهموس و قد ذهب مذهبه كل من محمود السعران (علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي) و كمال بشر (علم الأصوات: ص 303 و 354). و أما الرأي الآخر فيرى أن الهمزة صوت حنجري شديد مهموس مرقق و تأتي جهة الهمس في هذا الصّوت من أن إقفال الأوتار الصّوتية معه لا يسمح بوجود الجهر في النطق. و قد أخذ برأي تمام حسان (مناهج البحث في اللّغة: ص 155) كل من عبد الرحمن أيوب (اصوات اللغة) و رمضان عبد التواب (الهمزة ومشكلاتها: ص 24 - 45).

(63) المحتسب: 1 / 234.

(64) مجلة المجمع جـ 10 ص 83 و ما بعدها، نقلاً عن" أثر القراءات في الأصوات و

مفردًا أو جمعًا، عند النّطق به متحركًا، كم هو شائع عند أهل الحجاز، على حين ينطق به أهل تميم ساكنا، فيرى أنّ الأصل في الكلمات السّكون، و أنّ الصيغ المتحركة هي الصيغة الفرعية الحديثة. وهذا الرأي اعتمد فيه إبراهيم أنيس على دراسة تاريخية لهذه الأوزان في العربية و اللغات السامية، و أيضا على دراسة إحصائية للألفاظ الثلاثية – قام بها - في القرآن الكريم.

ويردّ خالد إسماعيل حسّان[65] على موقف أنيس إذ يراه يتعارض مع مبدأ السّهولة و التّيسير في الكلام، و مع ميل اللغة إلى التخفيف بالإيجاز و الاختصار، إذ ينتقل الانسان في نطقه من الأخف إلى الخفيف، فالفتحة أخف الحركات. و التسكين أخفّ من الفتحة، و من ثمّ أرى أنّ العكس هو ما حدث، فالأصل التحريك، ثم حدث التسكين بعده، و ممّا يؤيّد به رأيه ملاحظة عبد الصّبور شاهين[66] التي يرى فيها أن السلوك المقطعي في اللغة العربية يكره تتابع الحركات، و يعمد دائما إلى اختصارها، فإذا توالت ثلاث حركات اختصرها إلى اثنين، و إذ توالت حركتان مكروهتان كضمة و كسرة، حذفت إحداهما و أطيلت الأخرى.

5 - الياءات:

و يعزى إلى الحسن البصريّ فتح ياء المتكلّم و إسكانها، فقد كان يميل إلى إسكان الياء كما فعل عند قراءته لقول المولى تبارك و تعالى حيث قرأ: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) في [البقرة: 122]، بإسكان الياء " نعمتيْ"[67].

النّحو العربي "- أبو عمرو ابن العلاء – عبد الصّبور 1987، ص 327.

(65) في اللّسانيات العربية المعاصرة: ص 92 و ما بعدها.

(66) المنهج الصّوتي للبنية العربية: مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1980: ص 185.

(67) المحرر الوجيز: 1 /205.

الخلاصة:

يستبين ممّا سبق أن القراءة الشاذة - التي الحسن البصري رمزها و ممثّلها - وثيقة تاريخية تلقي الضوء على تاريخ العربية واللهجات العربية القديمة، فتكشف لنا عن التغيرات الصّوتية التاريخية لبعض الألفاظ في اللغة العربية، فقد تمثل القراءة الشاذة مرحلة هي أعرق تاريخيا من القراءة الصحيحة. و ثمة ملاحظة جديرة بالاهتمام و هي أن لهجة تميم ليست دائما أقدم أشكال النطق، كما أن الاختلاف بين القراءات دليل على الاختلاف الصّوتي بين اللهجات، إذ أن القراءة صورة دقيقة و نقية للهجات العربية القديمة.

مراجع المقال:

1- أثر القراءات في الأصوات و النّحو العربي، أبو عمرو بن العلاء، عبد الصّبور شاهين، 1987.

2 - الأحرف السّبعة: الدّاني، تحقيق مجدي السيّد و جمال الدّين شرف، دار الصّحابة، 2008.

3 - الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللّغوي الحديث: عبد الله بوخلخال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000.

4- إدغام القرّاء: أبو سعيد السّيرافي، تحقيق محمّد عليّ عبد الكريم الرّويني، دار الشهاب، باتنة، دت.

5 - الإدغام الكبير: زبان بن العلاء (أبو عمرو البصري ت 154 هـ): تحقيق أنس بن محمّد حسن مهرة، دار الكتاب العلمية، ط 1، 1998.

6- الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، مطبعة الأنجلو مصرية، ط 6، 1981.

7 – الإقناع في القراءات السّبع: ابن الباذش، تحقيق جمال الدّين محمّد شرف، دار الصّحابة، 2003.

8- الإمالة في القراءات و اللهجات: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر، ط 2، 1391هـ.

9- البحر المحيط: محمّد بن يوسف أبو حيان التوحيدي، تصحيح وعناية الشيخ صدقي محمّد جميل و زهير جعيد، دار الفكر، طبعة 1412هـ- 1992.

10- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرى قراءة نافع الإمام: عبد الفتاح القاضي،دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1401 هـ - 1981 م.

11- بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم. دار الفكر – طبعة 1979 م.

12- التطوّر النّحوي للغة العربية: برجشتراسر، ترجمة رمضان

عبد التوّاب:.2003

13- دراسة السّمع و الكلام- صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك: سعد مصلوح،1980 عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1420 هـ ، 2000م.

14- شواذ القراءة: الكرماني، مخطوط مصوّر عن نسخة أزهرية.

15- الظواهر الصّوتية و الصّرفية و النّحوية في قراءة الجحدري البصري: عادل هادي حمادي العبيدي، مكتبة الثقافة الدّينية، ط 1، 2005.

16- الظّواهر اللغّوية في قراءة الحسن البصري: صاحب أبو جناح، دار الفكر، عمّان، .1999

17- الظواهر الصّوتية في قراءة حمزة بن حبيب الزيّات الكوفي: رسول صالح عليّ أحمد الحلبوسي. دار الإيمان، الإسكندرية، 2006.

18- علم الأصوات: كمال بشر.دار غريب، .1970

19- علم اللغة:- مقدمة للقارئ العربي - محمود السّعران، دار النّهضة العربية، دت.

20- غاية النهاية في طبقات القرّاء: محمّد بن الجزري، برجستراسر، دار الكتب العلمية، .1932

21 – الفتح و الإمالة: أبو عمرو الدّاني، تحقيق أبي سعيد بن غرامة العمروي، دار الفكر، .2002

22- في اللّسانيات العربية المعاصرة: خالد اسماعيل حسّان مكتبة الآداب، القاهرة، 2008.

23 - في اللّهجات العربية: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة ، 1973.

24- القراءات الشّاذّة: لابن خالويه، تحقيق محمّد عيد الشّعباني، دار الصحابة للتراث بطنطا، 1428 هـ - 2008م.

25- القراءات الشّاذّة: دراسة صوتية و دلالية، حمدي سلطان

حسن أحمد العدوي، دار الصّحابة للتّراث بطنطا، ط 1، 1427 هـ – 2006 م.

26- القراءات الشّاذّة و توجيهها النّحوي: أحمد محمّد الصّغير، دار الفكر، دمسق، 1999.

27- القراءات القرآنية، بين العربية و الأصوات اللّغوية، منهج لساني معاصر: سمير شريف إستيتية، عالم الكتب الحديث، إربد، 2005.

28- القراءات القرآنية و أثرها في الدّراسات النّحوية: عبد العال سالم مكرم، الرسالة، ط3، 1996.

29- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها:أبو محمّد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط 5، 1997م.

30- اللهجات العربية في القراءات القرآنية: عبده الرّاجحي، دار المعرفة، د ت.

31- ما ذكره الكوفيون من الإدغام للسّيرافي، تحقيق صبيح التّميمي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر.

32- المبهج في القراءات السّبع المتمّممة بابن محيصن و الأعمش و يعقوب و خلف: أبو محمّد عبد الله بن عليّ سبط الخيّاط (ت 464 هـ)، رسالة دكتوراه تحقيق عبد العزيز بن ناصر السّبر، إشراف عبد العزيز أحمد اسماعيل، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين قسم القرآن و علومه، 1405 هـ.

33- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جنيّ، تحقيق محمّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ - 1998م.

34- المحرّر الوجيز تحقيق: أبو محمّد عبد الحق بن عطية الغرناطي، تحقيق عبد السّلام عبد الشّافي محمّد – دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1، 1993.

35- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه – نشره برجشتراسر، عالم الكتب.

36- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه ، دار الهجرة. ، دط، دت.

37- مراتب النّحويين:أبي الطيّب اللّغوي، تعليق محمّد زينهم عزب، دار الآفاق العربية، 2003.

38- مشكلة الهمزة العربية: رمضان عبد التوّاب: ،.1996

39- معاني القرآن: الأخفش: سعيد بن مسعدة البلخي، تحقيق عبد الأمير محمّد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، لبنان،ط1، 1405 هـ - 1985م.

40- معاني القرآن: الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد، تحقيق أحمد يوسف نجاتي و محمّد عليّ النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر،دت.

41- معجم القراءات: عبد اللّطيف الخطيب، دار سعد الدين للنشر و التوزيع، دمشق، 2000.

42- مناهج البحث في اللّغة: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة: الأنجلو مصرية. 1990.

43- المنهج الصّوتي للبنية العربية: عبد الصّبور شاهين، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1980.

44 - موقف اللّغويين من القراءات القرآنية الشّاذّة:محمّد السيّد أحمد عزّوز،عالم الكتب،.2001

45-النشر في القراءات العشر:محمّد بن محمّد بن الجزري، صححه و راجعه علي محمّد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د ت.